الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

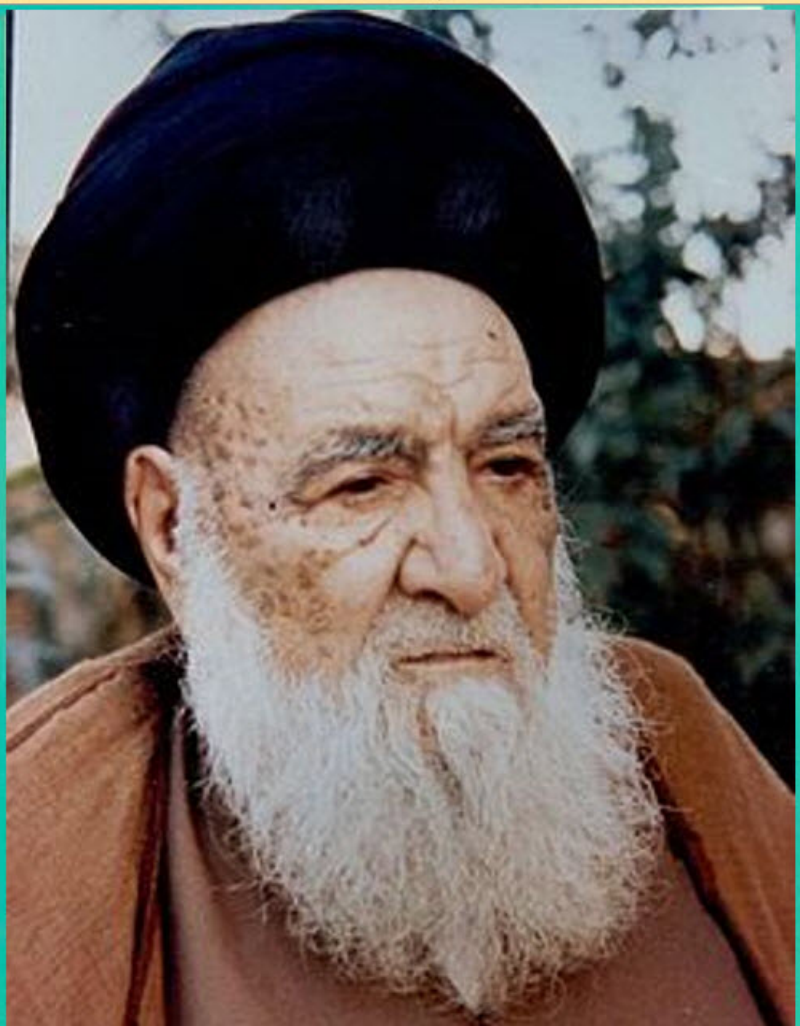

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

في حضرة الامام

نبذة عن الحياة الخاصة لفقيد الاسلام الامام السيد الخوئي رضوان الله عليه

● د. مجيد العلوي

يروي نجل الامام الراحل، السيد عبد المجيد الخوئي، انه عندما بدأ دراسته للعلوم الدينية وسّط والدته لكي يحصل على راتب شهري من والده كطالب في الحوزة وكان جواب سماحته رضوان الله عليه انه إذا كان طالباً بالفعل فليذهب ليمتحن مثل غيره في «البراني» حيث ينعقد المجلس الذي يختبر فيه طلبة العلوم الدينية قبل تعيين رواتبهم.

يقول نجله: ذهبت يوم الخميس (يوم انعقاد لجنة الامتحانات) وكنت خائفاً ان لاانجح بدرجة تريح سماحة سيدي الوالد. امتحنت لدى الشيخ مصطفى الهرندي في الشرايع والفيّة ابن مالك. واخبروا السيد الوالد في المساء ان ابنه اجتاز الامتحان، ونظر سماحته إلى النتيجة، فعين لي راتباً كما يعين لباقي الطلبة المجردين (غير المتزوجين). ثم جئته بعد مدة اطلب زيادة في الراتب، لمساواتي بباقي الطلبة الذين يتقاضون رواتباً من حوزات اخرى بالاضافة لحوزة السيد، حيث كانوا يستلمون رواتباً من بقية المراجع الآخرين، بينما لم اكن اتقاضى إلا من حوزة السيد. وكان رد الامام ان مصاريفك الاخرى (من لباس ومأكل) مكفولة، وعلى أي حال زاد في عطائي قليلاً بعد ان قام بعملية حسابية دقيقة حول احتياجاتي.

هذه الحادثة كما يرويها السيد عبد المجيد، ماهي إلا مؤشر على طريقة تعامل الامام الراحل مع الاموال العامة، فلم يكن يصرف على نفسه وبيته من الحقوق الشرعية ابداً، بل انه يستخدم في ذلك ما يأتيه من الهدايا الخاصة والتي كان يذّكر عائلته بشحتها وأهمية الترشيد في الصرف. كانت حياة العائلة بسيطة، لاتتفضل على الآخرين، وكان يحث ابنائه وعائلته على عدم التفاضل والتميزّ في المعيشة، بل ان يعيشوا كأقرانهم في الحوزة.

يوم حافل

طلب الاطباء مراراً من السيد ان يروح قليلاً عن نفسه وكان جوابه ان القراءة تريحه والقاء الدروس يرفه عنه. وبالفعل كانت أيام السيد (قدس سره) كلها حافلة بالعمل الجاد، حيث ينتبه سماحته قبل الفجرّ ويتوضأ للصلاة وكان يتهجد إلى أن يحين وقت صلاة الصبح، ثم يصلي ويفطر مع العائلة وعادة مايكون افطاره قطعة من الخبز والجبن البلدي والشاي. وكان يصر على أن لايأكل وحده، بل ينادي افراد العائلة أو عمال البيت او الضيوف لمشاركته الطعام. بعد الافطار يستريح قليلاً وفي الساعة الثامنة تماماً تبدأ جلسة الاستفتاءات الشرعية. تأتي الرسائل (التي يصر سماحته على فتحها بنفسه وقراءاتها واحدة واحدة)، وفيها المسائل الشرعية. وكان يحضر الجلسة بصورة شبه دائمة مجموعة من العلماء لمناقشة المسائل الفقهية، منهم آية الله

السيد علي البهشتي ومنهم آية الله السيد مرتضى الخلخالي (معتقل لدى السلطات العراقية منذ انتفاضة شعبان المباركة)، وآية الله الشيخ محمد اسحاق الفياض، حجة الاسلام والمسلمين الشيخ جعفر النائيني (حفيد الشيخ النائيني الكبير استاذ السيد وهو صهر السيد ايضاً).

هذه اللجنة الدائمة كانت تضم في بعض الايام علماء وافاضل آخرين للمناقشة، وللاستفادة من كيفية استنباط الاحكام لاسيما في المسائل العويصة. ومن الشخصيات العلمية التي كانت تحضر احياناً مجتهدون كبار آخرون أمثال آية الله العظمى السيد علي السيستاني (الذي صلى على جثمان الفقيد)، آية الله الشيخ مرتضى البروجردي وآية الله الشيخ علي اصغر الاحمدي وبعد نقاشات وبحث، وبعد التوصل إلى الاجابات الفقهية يتولى الاربعة (اعضاء اللجنة الاصلية) كتابة الاجوبة بخط اليد، ثم تعرض على سماحة السيد حيث يتحقق منها ويوقع عليها بخاتمه الشريف، ولم يكن ليسمح لاحد ايّاً كان باستخدام خاتمه، بل كان يحتفظ به دائماً مع مفاتيحه الخاصة، ولايمضي إلا هو بنفسه على كل رسالة او جواب.

تستمر جلسة المسائل الشرعية حتى قبيل وقت الظهيرة حيث يتهيأ للصلاة، ويؤم الناس في جامع الخضراء الملاصق للحرم الحيدري الشريف من الشرق. وقد شهد الجامع دروساً ومحاضرات السيد على مدى ستين عاماً (إلى ماقبل سنتين عندما منعته حالته الصحية من الذهاب إلى الجامع). بعد الصلاة يبقى فترة وجيزة في المسجد يتوافد فيها عليه الزائرون للسلام عليه والتبرك بتقبيل يديه الكريمتين، ثم يرجع لتناول طعام الغذاء مع العائلة أو الضيوف. بعد ذلك يستريح سماحته حتى الساعة الرابعة عصراً حيث يبدأ مجلسه الثاني لمناقشة الامور العامة والرسائل الواردة في هذا الخصوص.

هذه الجلسة ليست لمناقشة فتاوى شرعية، وانما لمناقشة القضايا الاجتماعية وشؤون الوكلاء، ومتابعة مسؤوليات المرجعية في العالم، من حوزات علمية ومؤسسات ومشاريع وأمور عامة من قبيل ارسال برقيات التعازي او التبريكات او الرسائل التوجيهية لمؤمنين في جميع انحاء العالم. وكان من يديم الحضور في جلسة العصر، أولاد المرحوم آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي حجتا الاسلام والمسلمين السيد محمد ابراهيم الشيرازي (معتقل لدى السلطات العراقية منذ انتفاضة شعبان المباركة) والسيد محمد علي الشيرازي (قده)، وكذلك بعض من له علاقة بالمشاريع والقضايا الاجتماعية، والادارية والسياسية وماشابهها، وتضم الجلسة احياناً عشرين أو أكثر من المتخصصين في مختلف الشؤون. وكان المدير للامور المالية ومسؤول توزيع رواتب العلماء والطلاب هو العلامة الحجة الشيخ فخر الدين الزنجاني ويساعده في ذلك العلامة الشيخ احمد الكاظمي.

كان سماحته يحب الاكثار من التشاور وتبادل الرأي ويردد دائماً «ماخاب من استشار».

تستمر جلسة العصر حتى السادسة مساءاً، يتهيأ بعدها سماحته لتجديد الوضوء وأداء صلاتي المغرب والعشاء في جامع الخضراء أيضاً. وبعد الصلاة يجلس في البراني (أي المجلس أو الديوانية)، يستقبل الناس الذين يتوافدون من المدن والبلاد المختلفة للسلام عليه والتبرك بزيارته، والكثير منهم يعرض عليه مشاكله حيث يستمع اليهم بعناية ويأمر بطريقة حلها ويتابع ذلك مباشرة ويستمر المجلس حتى الساعة التاسعة مساءاً ويتأخر احياناً إلى الحادية عشرة من الليل.

بعدها يرجع سماحة السيد إلى البيت ليجلس مع الاسرة حيث يلاطف العيال ويتباحث معهم في امورهم الخاصة والعائلية، وينصح هذا الابن ويسلي تلك الحفيدة وهكذا

وكان لغرفته بابان، واحد يؤدي إلى المجلس والثاني على بيت العائلة.

يقول نجله السيد عبد المجيد: كان الوالد يقضي بين عياله إذا تنازعوا. وكان مرحاً معنا، وكان سريع البديهة، إذا دخل عليه أحد مهموماً أو فرحاً أو ماشابه، ينظر إليه متفحصاً ويستبقه بالسؤال عن سبب شعوره بما يحس به. وفي كل ليلة، كان يعطي الاطفال حلوى، ويوزع عليهم ماجاءه من الهدايا الواردة من قبل الزوار. تستمر الجلسة مع العائلة لمدة ساعة أو اكثر بقليل، ثم ينصرفون من غرفته ويبدأ سماحته بالمطالعة والاستماع إلى الاخبار العالمية ، حيث كان مواضباً على متابعة اخبار العالم، والمسلمين على وجه الخصوص بالاستماع إلى الاذاعات العربية والعالمية. واحياناً يشتكي انه لم ينم الليلة الماضية لانه سمع خبراً مؤلماً عن كارثة في هذا القطر الاسلامي أو ذاك او انه سمع بقتل مسلمين في افغانستان او لبنان أو فلسطين أو على جبهات القتال خلال الحرب العراقية الايرانية.

القلب الكبير

نعم كان سماحة السيد رضوان الله عليه يتابع اخبار المسلمين اولاً بأول، يطلب من ابنائه والمقربين باطلاعه على اخر الاخبار وتفاصيلها كما تنقلها الصحف والناس، ويشرف على ارسال المعونات والمساعدات وبرقيات المواساة للمناطق والعوائل المنكوبة، وكان يوزع. مايأتيه من الحقوق الشرعية على الفقراء والمحتاجين، ويتابع شكاواهم واحدة واحدة، حتى إذا نسي احد امراً ما، ذكرهم به وسألهم عما قاموا به تجاه مختلف الطلبات الواردة. وكان يوصي من حوله بالعوائل المحترمة التي اصيبت بالضراء ويكرر دائماً (اهتموا بشأن هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) وكانت المعونات ترسل إليهم بطريقة متكتمة هادئة لحفظ ماء وجوههم.

وعلى مدى أوسع كان يتابع أمور الكوارث الطبيعية في مختلف اصقاع العالم الاسلامي، ويوصي بارسال المعونات لهم والوقوف إلى جانبهم، كما كان يتأكد من الصرف على المدارس والمستشفيات ومراكز رعاية الايتام في العراق وانحاء العالم. في نفس الوقت كان يشارك جيرانه والمقربين افراحهم واتراحهم اما في البيت فكان يهتم بالايتام ممن حوله ، حتى إذا تنازع أحد عياله مع يتيم قضى بالحق لليتيم، وإذا احتج الابن الذي يحسب انه على حق كان يذكره بأن له أباً يرعاه بينما ليس لليتيم احد يلجأ إليه فلا بأس بالعطف عليه.

نعم حتى اعدائه، كان رحمه الله يمنع المحيطين به عن مجابهتهم بالشدة. وحتى اعداؤه الظالمين عندما كانوا يأتون إليه يكرمهم كثيراً ويدعو لهم بالتوفيق والهداية، سأله يوماً أحد ابنائه «ابي اهل حقاً انت ترجو لهم الهداية، أم انك تجاملهم لكونهم ضيوفاً؟» وكان رد سماحته واضحاً وبقوة: ابداً انني ادعوا لهم بصدق ان يهتدوا ويكفي الله المؤمنين شرهم. لم يتحامل سماحته على احد، ولم يحمل بغضاً على أحد حتى على الحاقدين الذين كانوا يرسلون رسائل الشتم والسباب له. كان لايحمل عليهم شيئاً، ويمنع من حوله من الرد عليهم.

يقول له يوماً احد ابنائه، لماذا تسكت عن هؤلاء الذين يتهمونك بالبهتان والزور؟ فكان رده: إذا كان الحق لي فأنا ابريء ذممهم. سأله ابنه وماذا عن حقنا نحن ابناؤك؟ اليس من واجبنا الرد على هؤلاء، ان ندافع عنك؟ وكان جوابه: انتم لكم حق في ذلك، ولكني مادمت حياً فأنا صاحب الحق والرد فلا تردوا عليهم.

وكان يفتح رسائله الواردة إليه باستثناء المرسلة لعياله بصورة شخصية كان يعطيهم اياها، مغلقة، وإذا كانت مرسلة مفتوحة ضمن رسائل لسماحته، يسلمها لصاحب الرسالة

مشيراً إلى انه لم يقرأ محتواها. يقول احد ابنائه قلت له سيدي، ليس عندنا سر مخفي عليك ولكنه يصر على عدم قراءتها.

الرسالة الوحيدة التي آذته واثرت فيه جاءت إليه من سنين من (احد طلاب الدنيا باسم الدين)، واحتفظ بها في جيب سترته الداخلية يأخذها معه اين ماذهب وأوص بأن تدفن الرساله معه. كانت الرسالة تشكك في نسبه الشريف وانه من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد المته كثيراً وطالما ردد انه يريد ان تدفن معه ليريها جده المصطفى (ص) وجدته فاطمة الزهراء (ع) ليشتكي عندهما ممن يشكك في نسبه اليهما.

المعشر اللطيف

اكثر ماكان يؤذي سماحته الكذب، فإذا أحسَّ بأن احد عياله او المقربين يحاول اخفاء شيء ما عنه، فانه يتفحص في وجوههم، وببديهة سريعة كان يتحقق من الاجواء العامة.

وكان رضوان الله عليه رقيق القلب وكثير البكاء وكان كثير الذكر لمصيبة جده الحسين عليه السلام وكان يقيم في مجلسه العزاء كل اسبوع ويأمر بإقامة المآتم والاطعام لزوار جده الحسين في ايام الزيارات في كربلاء المقدسة وكان ملتزماً بزيارة سيد الشهداء في الزيارات المخصوصة الواردة. وكان يتألم إذا اصيب أحد معارفه او آخرون بأذى، ويتصل بالعلماء ومن يعرفهم في العراق وخارجها يتفقد احوالهم ويعرض مساعدته عليهم. وكما اشرنا فانه لم يكن يستقبل ضيوفه الا بالبشاشة والترحاب، حتى إذا كانوا من اعدائه.

وعلى حياة والده المرحوم السيد علي اكبر السيد هاشم الموسوي، كان يبدي حرجه من تقديم الناس له على ابيه (ودفن والده بالصحن الحيدري الشريف في ايوان «مقبرة» المرحوم النائيني). وكان شديد العلاقة بعوائل اساتذته السابقين يتابع احوالهم ويتفقد امورهم مردداً ان لهم فضلاً عليه.

وكان رضوان الله عليه شديد الالتزام بالعهد والوعد حتى في المواعيد الخاصة العادية، وإذا تأخر احد عن موعد مثلاً، كان لايواجهه مباشرة بل يقول مثلاً: اني احب فلاناً لانه يحافظ على مواعيده.

كان شغوفاً بالفنون المعمارية، يتذوقها مع مختلف فنون الأدب والشعر. مثلاً كان يجلس مع المهندسين المعماريين الذين صمموا مدرسته (دار العلم)، واعتمدوا فكرته العامة في بناء ذلك (المدرسة مدمرة الآن بعد أن هدمتها القوات العراقية خلال قمعها للانتفاضة الشعبانية).

وكان يقرض الشعر باللغات الثلاث التي كان يجيدها، العربية والفارسية والتركية، كما كان يشارك العائلة في شؤون المنزل من طبخ وغيرها.

ومما يروى عن نوادره أن احد العلماء الزائدي التحرز في شؤون الطهارة دخل على سماحته يوماً قائلاً: انا اعتقد ان الهواء نجس. فالهواء مع انه غير مرئي فهو محسوس، ودليل نجاسته أن الهواء يحتك باستمرار بالنجاسات الاخرى في الوجود.

وكان رد سماحته على الرجل: صحيح ماتقول، ان الهواء مربوط بالنجاسات، ولكنه ايضاً مربوط بالبحار والبحيرات في العالم وهي اكثر من كر، وبالتالي فهي لاتتنجس.

حضور دائم

كان سماحة المرجع الاعلى رضوان الله عليه، يتابع الامور الحسبية بدقة واستمرار. وكانت معظم الاجازات والمعاملات والرسائل تحرر من قبل المرحوم الحجة السيد مرتضى النقشواني (قده) (توفي في اب/ اغسطس ١٩٩٠). وكان يدقق في الوصولات وارقامها

ومطابقتها لما يرد ويصدر، وكان يحتفظ بخاتمه كما اشرنا معه دائماً ليوقع كل رسائله وكان يحتفظ مع الخاتم بمفاتيح صناديقه الخاصة، ليس لعدم ثقته فيمن حوله ولكن رغبة في تحمل المسؤولية مباشرة. ولم يكن يستخدم الحقوق في الصرف على نفسه وعائلته، وكان لايستبدل ثيابه الا بعد ان تبلى، حتى اعترض بعض المقربين عليه، قائلاً انك زعيم المسلمين ولابد ان تبدو عزيزاً في ملبسك، فكان جوابه انه مادامت الثياب نظيفة فلا مانع من قدمها، حتى اقترح عليه بعضهم بأن تعطى الثياب لآخرين يلبسونها ويستبدلها بثياب جديدة.

وطالما سأل اولاده ومريديه عن الرسالة الفلانية والطلب الفلاني، هل تابعوا امر الطلبات الواردة وهل قضوا حوائج الناس، وحتى إذا نسي البعض اطلاعه بما تم في احد الشؤون، لايفوته الاستفسار عنه، مطالباً بتلبية حوائج الناس وبدقة متناهية، بما في ذلك التفاصيل التي قد لاتخطر على بال المنفذين.

انه من الصعب الالمام بحياة هذا العملاق التي استمرت مايقرب من قرن من الزمان، مليئة بالاحداث الجسيمة والاعمال الجليلة، وقد يهيء الله من يقوم بتأليف شيء من هذا القبيل، إلا أن الواضح ان سماحته نال الكثير من الظلم في حياته ، وتعرض للكثير من البهتان واللغط من قبل من لهم مصلحة في تشويه سمعة المرجعية الرشيدة.

وكان بفقده فقدان الامام الفقيه والاب الحنون والمربي والمرشد الفذ الذي امضى عمره الشريف في خدمة الدين والعلم والانسانية وقد عانى في سبيل ذلك الوان العذاب وتحمل شتى المصائب وخسرت بفقده الامة الاسلامية اباً عطوفاً ومرجعاً كبيراً وكهفاً وملاذاً وهي خسارة لن تعوض وقد قضى نحبه في ظل احلك الظروف القاسية، مظلوماً صابراً محتسباً.

○ وضع حجر الأساس لأحد مشاريع الإمام الراحل.